(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

١ ــ الحرب الخامسة ؟

هل ستندلع الخامسة قريبا ؟ هذا هو السؤال الذي طرحه كل مواطن عربي على نفسه طوال الشهر الماضي بعد أن ساد الترقب المسلح منطقة الشرق الاوسط بسبب التصريحات الحربية الاسرائيلية ، والتحذيرات التي تلقتها الدول العربية من الاتحاد السوفياتي حول اعداد اسرائيل لهجوم مفاجيء على الدول المجاورة ، وقيام حكومة اسرائيل باستدعاء « تجريبي » لقواتها الاحتياطية واجراء مناورات عسكرية في الضفة الغربية اشتركت فيها القوات البرية والجوية . ولقد زادت من توتر الموقف ، تصريحات الزعماء الاسرائيليين حول رفض الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة، ورفض الاعتراف بحقوق الفلسطينيين ، وتصلب موقف الحكومة الاسرائيلية بالنسبة الى مسالة انشاء دولة فلسطينية مستقلة على الاراضي الفلسطينية الذي قد يتم الانسحاب منها كجزء من ترتيبات السلام في المنطقة .

وقبل الحديث عن الحرب الخامسة ، لا بد من التاكيد على ان الحرب الرابعة لم تنته بعد ، لان القتال الذي دار في تشرين الاول ١٩٧٣ ، وخلال حربي الاستنزاف على الجبهتين المصرية والسورية، ثم توقف بسبب تدخل الدولتين الاعظمين ، لم يحسم الموقف ، ولم يحقق اهدافه ، ولم يبدل موازين القوى في المنطقة بشكل جذري . ولذا فان من المتعذر علينا ان نصف الوضع الذي نعيشه باكثر من وضع هدنة بين معركتين في حرب واحدة . وهو اقرب الى الوضع الذي عاشته المنطقة في فترة الهدنة الاولى (١٩٤٨/٦/١٠ ــ ٤٨/٧/٩) او في فترة الهدنة الثانية (١٩٤٨/٧/١٩ ــ ١٥/ ١٩٤٨/١) خلال الحرب العربية ــ الاسرائيلية الاولى .

وسواء كان القتال المتوقع امتدادا للحرب الرابعة ، أم بداية لحرب خامسة ، فان من المؤكد ان اسرائيل لن تشنه من جهتها الا اذا توفرت لديها الدوافع الكافية ، والشروط الخارجية الملائمة وموازين القوى المطلوبة لتحقيق النصر السريع . فهل تمتلك اسرائيل مثل هذه العوامل ؟

ان دراسة الوضع الداخلي في اسرائيل تدل على ان الدولة الصهيونية لم تصب بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) بانهيار داخلي كامل ــ كما تقول بعض اجهزة الاعلام العربية ــ ولكنها اصيبت بخلل في التوازن النفسي الداخلي . وكان من الممكن ان يصل هذا الخلل الى الانهيار لو طالت الحرب مدة اكبر ، وانتقلت الضربات العربية الجوية والصاروخية الى عمق الارض المحتلة ، واوقعت في منشآت العدو الحيوية وقواه البشرية خسائر كبيرة ، او لو ان الجيش الاسرائيلي فشل في تحقيق الخرقين على محور سعسع ، وعند الدفرسوار . ولكن عدم توفر كل هذه العوامل ، اعاد الى التوازن النفسي الداخلي بعض ثباته ، ورمم قسما من الاسطورة الاسرائيلية .

ورغم هذا الترميم الذي بدأ مع بداية الجسر الجوي الاميركي ، ووصل الى ذروته مع اعادة احتلال الجولان ، ونقل قوات شارون الى الضفة الافريقية للقناة ، وتطويق الجيش المصري الثالث ، فان التوازن النفسي لم يعد في اسرائيل الى سابق عهده . ولا تستطيع اسرائيل القبول بمثل هذا الوضع ، الذي قد تقبله أية دولة اخرى ، لان جوهر الفكرة الصهيونية واساس اجتذاب المهاجرين اليهود ورؤوس الاموال اليهودية والاجنبية من الخارج مبنيان على ضمان توازن نفسي مستقر لا خلل فيه . من هنا ينبع اهتمام الحكومة الاسرائيلية المفرط باعادة التوازن النفسي الى سابق عهده ، عن طريق توجيه ضربة عسكرية محسوبة ومحدودة لدولة عربية مجاورة .

وبالاضافة الى هذا الدافع الداخلي للحرب ، فان هناك دافعا آخر يتمثل في الرغبة في احباط مؤتمر جنيف . ومن الواضح ان اسرائيل تخشى الذهاب الى جنيف ، لا لان مؤتمر جنيف سيحقق للعرب كل ما يبتغونه ، بل لان اسرائيل تخشى مجابهة السلام اكثر من خشيتها لمجابهة الحرب . فالسلام مهما كان نوعه سيحرم الصهيونية من ديناميكيتها ودوافعها ، وخاصة اذا ارتبط بانسحاب من الاراضي المحتلة ، واعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . اما الحرب فهي مبرر بقائها ، ومصدر تماسكها الداخلي ، وتعاطف يهود العالم معها ،